The Chittagong University Journal of Arts and Humanities
ISSN 1993-5536
VOL.XXXVII, 2021 (pp. 217 - 226)
Published in February, 2025

منهج جامع البيان في تاويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري

["জামিউল বয়ান ফী তাবিলিল কুরআন" রচনায় ইমাম তাবারীর অনুসৃত পদ্ধতি]

ড. মোহাম্মদ আমির হোসাইন *

প্রতিপাদ্যসার: আবু জাফর মুহাম্মদ ইব্ন জারীর তাবারী (৮৩৯-৯২৩ খ্রি./২২৪-৩১০ হি.) ছিলেন একজন প্রতিথযশা তাফসীর বিশারদ ও ইতিহাসবেত্তা। তাঁকে ইলমে তাফসীর ও ইসলামের ইতিহাসের জনক বলা হয়। তিনি তাফসীর, হাদিস, ফিকহ, ভাষাতত্ত্ব, ইতিহাস প্রভৃতি বিষয়ে বহু মৌলিক গ্রন্থ রচনা করেছেন। তাঁর রচনাগুলোর মধ্যে 'জামিউল বয়ান ফী তাবিলিল কুরআন' একটি সুবিন্যস্ত তাফসীরগ্রন্থ। তিনি তিরিশ হাজার পৃষ্ঠায় তাঁর তাফসীরগ্রন্থ রচনার পরিকল্পনা করেছিলেন। কিন্তু আয়ুষ্কালের স্বল্পতা অনুধাবন করে এবং বিস্তৃত গ্রন্থ অধ্যয়নে পাঠকদের নিরুৎসাহ উপলব্ধি করে তিনি গ্রন্থটি তিন হাজার পৃষ্ঠায় সমাপ্ত করেন। তাঁর এ তাফসীরগ্রন্থটি পরবর্তীকালের তাফসীরকারকদের নিকট প্রাথমিক উৎস হিসেবে বিবেচিত হয়ে আসছে। আল্লামা সুয়ূতী (১৪৪৫-১৫০৫ খ্রি.), ইব্ন তাইমিয়া (১২৬৩-১৩২৮ খ্রি./৬৬১-৭২৮ হি.), ইমাম ইব্ন খুযাইমা (২২৩-৩১১ হি.) প্রভৃতি মনীষীগণ আল্লামা ইব্ন জারীর তাবারীর তাফসীর গ্রন্থটির শ্রেষ্ঠত্ব অকপটে স্বীকার করেছেন। আরবি ভাষাশৈলী, রচনাপদ্ধতি, আরব বাকরীতি ও আল-কুরআনের অলংকারশৈলী বিশ্লেষণের মাধ্যমে তিনি তাফসীর গ্রন্থটিকে হৃদয়গ্রাহী করে তুলেছেন। এ তাফসীর গ্রন্থটি বর্তমানে প্রায় সারা বিশ্বের বিভিন্ন মাদ্‌রাসা ও বিশ্ববিদ্যালয়ে পাঠ্যসূচির অন্তর্ভুক্ত। বক্ষমান প্রবন্ধে 'জামিউল বয়ান ফী তাবিলিল কুরআন' রচনায় তাঁর মানহায বা পদ্ধতি বিশ্লেষণ করা হয়েছে।

مقدمة :

إن الإمام ابن جرير الطبري كان من أشهر الأعلام الإسلامية، وكان قد جمع العلوم العربية والفنون الإسلامية من التفسير والحديث والفقه والتاريخ، وكان عالما باللغة العربية وعلومها من النحو والصرف والفصاحة والبلاغة والشعر والأدب، إضافة إلى ما وهبه الله من مواهب فطرية كالذكاء والفطنة والنبوغ، تمكن بها من التأويل والاستنباط والاستدلال. وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، ومن أشهرمؤلفاته تفسيره "جامع البيان في تاويل القرآن" الذي نحن في صدده، وقد أجمع العلماء على أنه لم يؤلف في التفسير مثله. (السيوطي، ١٩٧٤: ٤/٢٤٤) وقال النووي : كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله. (السيوطي، ١٩٧٤: ٤/٢٤٤) وهو المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، وإن كان فى الوقت نفسه يعتبر مرجعا غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي، نظرا لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحا يعتمد على النظر العقلي، والبحث الحر الدقيق. وقد اعتبر

* সহযোগী অধ্যাপক, আরবী বিভাগ, চট্টগ্রাম বিশ্ববিদ্যালয়, চট্টগ্রাম।

الطبري أبا للتفسير، كما اعتبر أبا للتاريخ الإسلامي، وذلك بالنظر بما في هذين الكتابين من الناحية العلمية العالية. (الذهبى، د.ت: ٢٠٦/١)

حياته الوجيزة :

هو الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الأملي، البغدادي.(الزركلي، ٢٠٠٢م: ٦٩/٦؛ ابن خلكان، د.ت: ١٩١/٤م) يكنى بأبي جعفر مع أنه لم يتزوج، ولم يكن له ولد، لأن الكنية من السنة.

ولد الطبري–رحمه الله تعالى– في مدينة "أمل" من أعمال طبرستان، أكبر المدن فيها سنة ٢٢٤هـ. (ابن خلكان، د.ت: ١٩١/٤م) نشأ فيها وتربي في أخضان والديه تربية حسنة، وكان أبوه رجلا صالحا، فأراد أن يعلم ابنه العلوم العربية والفنون الإسلامية، فالتحقه في مدرسة حفظ القرآن، فحفظه حين عمره سبع سنين، فتلقى العلم على علماء بلده، فاجترأ في أقل وقت حتى صلى بالناس إماما وهو ابن ثماني سنين وكتب الحديث وهو ابن تسع سنين. (الخالدي، ٢٠٠٢م: ٣٤٣) وله شوق عميق ورغبة شديدة في طلب العلوم والفنون من النحو والصرف والبلاغة والتفسير والتاريخ وغيرها، فارتحل إلى الري والبصرة والكوفة والشام ومصر وغير ذلك من البلاد التي فيها العلماء الشهيرة والفضلاء الماهرة، و من أساتذته محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وأحمد بن منيع البغوي وأحمد بن حميد الرازي وأبو همام الوليد بن شجاع وأبو كريب محمد بن العلاء وغيرهم. وبعد ذلك رجع إلى بغداد واستوطن ببغداد وأقام بها إلى حين وفاته.

قسم الإمام الطبري ليله ونهاره بين التصنيف والتدريس والعبادة والنوم : فكان ينام قيلولة قبيل الظهر، ثم يصلى الظهر، ثم يشتغل بالتصنيف إلى العصر، ثم يخرج لصلاة العصر، ويجلس للناس في المسجد إلى صلاة المغرب، ثم يدرس الناس إلى صلاة العشاء، ويعود بعد العشاء إلى منزله، ويشتغل بالتصنيف، ولا يسمح لأحد بالدخول عليه إلا لأمر هام. (الخالدي، ٢٠٠٢م: ٣٤٥)

وكان الطبري قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله –عز وجل–، عارفا بالقرآن، بصيرا بالمعاني، فقيها بأحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفا بأيام الناس وأخبارهم. وكان من الآئمة الكرام الذي يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. (الحموي، ١٩٩٣م:٦٤٤٣/٦)

توفي الإمام ابن جرير الطبري ٢٦ شوال ٣١١هـ على الصحيح، (الزحيلي، ١٩٩٩م: ص٣٣). وذلك في عصر الخليفة العباسية مقتدر بالله (٨٩٥–٩٣٢ م)، ودفن في داره الكائنة برحبة يعقوب ببغداد، ((الحموي، ١٩٩٣م:٤٠/١٨؛ ابن خلكان، د.ت: ١٣٢/٣م) وقيل أنه توفي عام ٣١٠ هـ. (الذهبى، د.ت: ٢٠٥/١).

منهج جامع البيان عن تاويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري

جامع البيان في تأويل القرآن (عمر بن رضا بن محمد راغب، د.ت: ١٤٧/٩) أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن (البغدادي، ١٤٠٨هـ:٤٨٠). أو جامع البيان في تفسير القرآن .(الزركلي، ٢٠٠٢م: ٦٩/٦؛ الأثري، د.ت: ٣/٣) المعروف بتفسير الطبري للإمام محمد بن جرير الطبري هو من أشهر التفاسير القديمة الذي كتبه على المنهج الجامع من

التفسير بالماثور القائم على النقل والرواية والتفسير البياني القائم على اللغة والبيان. ولهذا يقوم منهجه على ثلاثة قواعد : الأثر، واللغة، والنظر. وله مميزات خاصة التي فضلته على التفاسير القديمة التي بين يديه من تفاسير التابعين وأتباع التابعين ومن بعدهم، كما كان بين يديه التفاسير البيانية، وهنا أقدم المنهج الذي سلك عليه المفسر العلام من خلال تفسيره القرآن الكريم كمايلى :

أولا : تفسير القرآن بالقرآن

علما منا بأن القرآن يفسر بعضه بعضا، وكان الإمام الطبري حريصا على تفسير القرآن بالقرآن، فيجمع الآيات القرآنية المنتشرة في السور ولو تعددت وكثرت، فيفسر البعض ببعض، وهذا من أحسن الطرق لتفسير القرآن الكريم، قد أمتلأ تفسير الطبري بالآيات المفسرة التي فسر بها الآيات القرأنية التي بين يديها. و الأستاذ محمود شاكر أقام جدولا لهذه الآيات الذي يزيد على خمس صفحات أحيانا. (الخالدي، ٢٠٠٢م: ٣٦٦)

فمثلا نجده في تفسيره لقوله تعالى : ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون﴾ (سورة البقرة : ٤٠) قال الطبري : فالمراد بالنعمة في قوله تعالى : ﴿اذكروا نعمتي﴾ هى نعمة الإيمان والإسلام، لأنه لا نعمة أفضل من الإسلام، والنعم الأخري تابعة لها، واستشهد على هذا بقوله تعالى : ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ (سورة الحجرات :١٧)

وتذكير الله بهذه الآية من نعمه على لسان رسوله محمد –صلى الله عليه وسلم–، كتذكير موسى –عليه السلام– ببنى إسرائيل على عهده، الذي أخبر الله عنه أنه قال لهم، واستشهد على هذا بقوله تعالى : ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين﴾(سورة المائدة : ٢٠)

وقوله تعالى : ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾(سورة المائدة : ٧) قال الطبري : "المغضوب عليهم" هم اليهود واستدل بالأية : ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾(سورة المائدة : ٦٠) وقال : "الضالين" هم النصارى، واستدل بالأية الكريمة : ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾(سورة المائدة : ٧٧) وذكر في معناهما أحاديث كثيرة. (الطبري، ٢٠٠٠م: ١/٩٠–٩٥)

ثانيا : تفسير القرآن بالسنة المطهرة

إذا أمعنا النظر إلى تفسير الطبري يتضح لنا بأنه فسر القرآن الكريم بالسنة المطهرة، ويورد الأحاديث المتعلقة بالأية القرآنية في انكشاف معانيه بأسانيدها كما يذكر طرق كل رواية مهما تعددت واختلفت. فمثلا

قوله تعالى : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾(سورة الفاتحة :٢) فسر المفسر العلام ابن جرير الطبري "رب العالمين" رب الجن والأنس، فاستشهد على قوله : ﴿رب العالمين﴾ عشرة احاديث بشتى الطرق والرواية، ذكرها بأسانيدها، نذكر منها ثلاثة أحاديث ونترك البواقي خوف الطوال وهى كما يلى : (الطبري، ٢٠٠٠م: ١/٧٤)

الحديث الأول : حدثني محمد بن سنان القزاز، قال حدثنا أبو عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿رب العالمين﴾ : الجن والإنس.

الحديث الثاني : حدثني علي بن الحسن، قال: حدثنا مسلم بن عبد الرحمن، قال: حدثنا محمد بن مصعب، عن قيس بن الربيع، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قول الله –جل وعز– ﴿رب العالمين﴾ ، قال: رب الجن والإنس.

الحديث الثالث : حدثنا أحمد بن إسحاق بن عيسى الأهوازي، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا قيس، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير: قوله: ﴿رب العالمين﴾ ، قال: الجن والإنس.

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾(سورة الفاتحة :٧) جمع الطبري في تفسير "الضالين" أربعة عشر حديثا، وذكر كل حديث بالسند. (الطبري، ٢٠٠٠م: ١/٩٣–٩٦)

وجدير بالذكر بأن التفسير للطبري هو تفسير مملوء بالأحاديث المرفوعة حتى بلغ عددها سبعمئة حديث بالتمام، وهذه الأحاديث منتقاة من وسط أحاديث كثيرة، منها الصحيح المكرر، ومنها الحسن، ومنها الضعيف، ومنها المردود. (الخالدي، ٢٠٠٢م: ٣٦٧)

ثالثا : تفسيره بأقوال الصحابة والتابعين

كان الإمام الطبري حريصا إلى أقوال الصحابة والتابعين في تفسيره للقرآن الكريم. وكان يورد أقوالهم مستندة، ويورد طرقا عديدة للقول الواحد، وإذا أختلفت أقوال الصحابة والتابعين في التفسير يوردها ويذكر أدلتهم وبراهينهم، ويرجح منها الراى المناسب، ويستدل له.

فمثلا قوله تعالي : ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾(سورة البقرة :٢٣٨) فسر الطبري هذه الأية الكريمة وذكر فيها اختلاف الصحابة والتابعين في تعيين الصلاة الوسطى، وهى فيما يلى: (الطبري، ٢٠٠٠م: ٥/١٦٩)

(1) فقال بعضهم : هى صلاة العصر، وأورد فيها ثلاثة وأربعين أثرا، كله مستند، كما أورد ستا وعشرين طريقا ورواية لهذه الأحاديث المرفوعة التي صرح فيها النبي –صلى الله عليه وسلم– بأن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر. (الطبري، 2000م: 5/182–198).

(2) وقال آخرون : هى صلاة الظهر، أورد فيها ثلاث عشرة رواية وطريقا. (الطبري، 2000م: 5/198–207).

(3) وقال البعض : هى صلاة المغرب، وهذ قول قبيصة بن ذؤيب.

(4) وقال بغضهم : هى صلاة الفجر، وأورد سبع عشرة رواية وطريقا مسندة لهذا القول.

(5) وقال بعضهم : هى إحدي الصلوات الخمس، لا نعرفها بعينها، وأورد ثلاث روايات مسندة لهذا القول.

وبعد ذلك رجح أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر، قال : والصواب من القول في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– التي ذكرناها قبل في تأويله: وهو أنها العصر. (الطبري، ٢٠٠٠م: ٥/٢٢١)

وهكذا نرى بأن الإمام الطبري قد فسر الآية القرآنية بأحاديث مرفوعة وموقوفة، منها ما هو صحيح، ومنها ماهو ضعيف، كما نرى أن الروايات التي أوردها في تفسيره مئة وتسع عشرة رواية وفق تحقيق محمود شاكر –رحمه الله–. (الخالدي، 2002م: 372)

رابعا : تفسير القرآن بلغة العرب

إدراكا منا بأن تفسير القرآن الكريم مبنى على ثلاثة أركان : الأثر واللغة والنظر. لقد كان الإمام الطبري متبحرا من اللغة العربية، متذوقا لأساليبها، فلذا نراه يفسر القرآن بلغة العرب من نحوها وصرفها وبلاغتها وبيانها واشتقاقها وتصريفها وشواهدها وتوجيهاتها بجانب النقول المأثور ويجعلها مرجعا موثوقا به عند تفسيره ويترجح بعض الأقوال على بعض.

فمثلا قوله تعالى : ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾(سورة هود :٤٠) قال ابن جرير : اختلف أهل التاويل في معنى "التنور". فقال بعضهم : التنور وجه الأرض. وهذا قول أبن عباس وعكرمة والضحاك. وأورد أقوالهم بالأسانيد.

وقال بعضهم: هو تنوير الصبح، من قولهم: "نور الصبح تنويرا". وهذا قول علي بن أبي طالب. وأورد خمس روايات مستندة في ذلك. وقال بعضهم: "التنور" أشرف الأرض. والمعنى: وفار أعلى الأرض وأشرف مكان فيها بالماء. وهذا قول قتادة وأورد له روايتين مستندتين. وقال بعضهم : هو التنور الذي يختبز فيه. وهذا قول ابن عباس والحسن البصري ومجاهد والشعبي والضحاك. وأورد عشر روايات مسندة لهذا القول.

ثم قال الإمام الطبري بعد أن يفرغ من هذا كله : وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله: (التنور) ، قول من قال: "هو التنور الذي يخبز فيه"، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به. (الطبري، ٢٠٠٠م: ١٥/٣٢١–٣١٧)

خامسا: تفسير القرآن بأشعار العرب

كان الإمام الطبري يفسر القرآن الكريم بأشعار العرب، لأنها ديوانهم، كما قال ابن عباس : إذا قرأ أحدكم شيئا من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتمسه فى الشعر فإنه ديوان العرب. (البيهقي، ١٣٤٤ هـ: ١٠/٢٤١).

وقال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب. فنرى الطبري يرجع إلى أشعار العرب لاستخراج المعنى الأصلي. و من الأمثلة :

قوله تعالى : ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ (سورة البقرة :٢٢) قال الطبري: والأنداد جمع ند، والند: العدل والمثل، كما قال حسان بن ثابت:

أتهجوه ولست له بند؟ ... فشركما لخيركما الفداء

يعني بقوله:"ولست له بند"، لست له بمثل ولا عدل. وكل شيء كان نظيرا لشيء وله شبيها فهو له ند. فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئا، وأن يعبدوا غيره، أو يتخذوا له ندا وعدلا في الطاعة. وأورد في هذا القول ست روايات مسندة. (الطبري، ٢٠٠٠م: ١٦٨/١)

ومثلا قوله تعالى : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾(سورة الفاتحة :٦) قال الطبري: أجمعت الأمة جميعا على أن "الصراط المستقيم"، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. وكذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:(الأستاذ مجيد طراد، ٢٠٠٣م: ٣٤٢).

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم

يريد على طريق الحق. ومنه قول الهذلي أبي ذؤيب:

صبحنا أرضهم بالخيل حتى ... تركناها أدق من الصراط

والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى. ثم تستعير العرب "الصراط" فتستعمله في كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته، والمعوج باعوجاجه. (الطبري، ٢٠٠٠م: ١٦٦/١)

سادسا : الاهتمام بالمسائل النحوية

علما منا بأن الإمام الطبري اهتم بالمسائل النحوية من خلال تفسيره، فيتعرض كثيرا لمذاهب النحويين من البصريين والكوفيين في النحو والصرف، ويوجه أقوالهم، تارة على المذهب البصري، والأخري على المذهب الكوفي، فمثلا قوله تعالى : ﴿قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾(سورة هود : ٤٠) قال الطبري : قال بعض الكوفيين، "الزوجان"، في كلام العرب: الاثنان. قال : ويقال "عليه زوجا نعال"، إذا كانت عليه نعلان، ولا يقال: "عليه زوج نعال". وقال بعض البصريين من أهل العربية : "الزوجين"، "الضربين"، والمراد بها الذكور والإناث. وقال آخر منهم: "الزوج"، اللون. (الطبري، ٢٠٠٠م: ٣١٧/١٥)

وفي قوله تعالى : القول في تأويل قوله: ﴿وكفلها زكريا﴾(سورة آل عمران : ٣٧) بين الطبري قرأة قوله :"وكفلها" فقال : قرأة أهل الحجاز والمدينة والبصرة: (وكفلها) خففة "الفاء". بمعنى: ضمها زكريا إليه، اعتبارا بقول الله –عز وجل–: ﴿يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾(سورة آل عمران : ٤٤) وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : (وكفلها زكريا) مشددة "الفاء"، بمعنى: وكفلها الله زكريا. ثم بين الراي الصواب عنده، فقال : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك هى قراءة من قرأ: (وكفلها) مشددة "الفاء"، بمعنى: وضمها الله إليه. (الطبري، ٢٠٠٠م: ٣٤٥/٦)

سابعا : موقفه من القراءات

إذا أمعنا النظر إلى تفسير الطبري نراه يذكر القراءات المختلفة، وإنه كان من علماء القراءات المشهورين حتى إنهم ليقولون عنه: إنه ألف فيها مؤلفا خاصا فى ثمانية عشر مجلدا، ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ وعلل ذلك وشرحه، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور، وإن كان هذا الكتاب قد ضاع بمرورالزمن ولم يصل إلى أيدينا، شأن الكثير من مؤلفاته.(الذهبي، د.ت: ٢٦/٤) بين الطبري القراءات المختلفة، ثم ذكر رايه ورجحه على الأراء كله، فمثلا

وقوله تعالى : ﴿وقولوا للناس حسنا﴾(سورة البقرة : ٨٣) قال الطبري : اختلفت العلماء في قراءة "الحسن". فقرأ عامة قرأة الكوفة غير عاصم: (وقولوا للناس حسنا) بفتح الحاء والسين. وقرأته عامة قراء المدينة: (حسنا) بضم الحاء وتسكين السين. وقد روي عن بعض القرأة أنه كان يقرأ: "وقولوا للناس " حسنى " على مثال "فعلى". فأختار الطبري قراءته بفتح الحاء والسين، على قراءته بضم الحاء وسكون السين. (الطبري، ٢٠٠٠م: ٢٩٤/٢)

وقوله تعالى : ﴿مالك يوم الدين﴾(سورة الفاتحة :٤) قال الطبري : القراء مختلفون في تلاوة (مالك يوم الدين) فبعضهم يتلوه " ملك يوم الدين "، وبعضهم يتلوه (مالك يوم الدين) وبعضهم يتلوه (مالك يوم الدين) بنصب الكاف.

ولاخلاف بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب، أن الملك من "الملك" مشتق، وأن المالك من "الملك" مأخوذ. فتأويل قراءة من قرأ ذلك: (مالك يوم الدين)، أن لله الملك يوم الدين خالصا دون جميع خلقه، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكا جبابرة ينازعونه الملك، ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية. فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصغرة الأذلة، وأن له دونهم، ودون غيرهم الملك والكبرياء، والعزة والبهاء، كما قال تعالى: ﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾(سورة الغافر :١٦) فأخبر تعالى ذكره أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا، الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغار، ومن دنياهم في المعاد إلى خسار. (الطبري، ٢٠٠٠م: ١٤٨/١)

قوله تعالي : ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين﴾(سورة الأنبياء : ٨١) فقرأ عامة قراء الأمصار (الريح) بالنصب على أنها مفعول لسخرنا المخذوف، وقرأ ذلك عبد الرحمن الأعرج (الريح) رفعا بالكلام في سليمان على ابتداء الخبر. فقال الطبري : والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها في ذلك ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه. (الطبري، ٢٠٠٠م: ٤٨٢/١٨)

ثامنا : موقفه من الإسرائيليات

وقد اعتمد أهل التفسير في حكاية أقاويل أهل الكتاب على قول الرسول –صلى الله عليه وسلم– الذي أباح به ذلك حيث قال : " بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار". (أحمد بن حنبل، ١٩٩٨م: ١٤٩/٢) ففي تفسير ابن جرير الطبري روايات إسرائيلية، يرويها بإسناده إلى كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وابن جريج والسدي وغيرهم كما نراه ينقل عن محمد بن اسحاق. فمثلا

قوله تعالى : ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾(سورة الكهف : ٩٤) يسوق هذا الإسناد: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثنا محمد ابن إسحاق قال: حدثني بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب ممن قد أسلم، مما توارثوا من علم ذى القرنين أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر، اسمه مرزبا بن مردبة اليونانى من ولد يونن بن يافث بن نوح. (الطبري، ٢٠٠٠م: ١٠٤/١٨)

وهكذا يكثر ابن جرير من رواية الإسرائيليات، ولعل هذا راجع إلى ما تأثر به من الروايات التاريخية التى عالجها فى بحوثه التاريخية الواسعة. (الذهبى، د.ت: ١/١٥٤) ولكنه ذكر السند في كل رواية ، وبذلك قد خرج من العهدة.

تاسعا : موقفه من الأسانيد

إذا أمعنا النظر إلى تفسير الطبري نراه يذكر الروايات بأسانيدها كما هو مقرر في أصول الحديث بأن من اسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح، وبذلك قد خرج من العهدة. مثلا

قوله تعالى : ﴿وموعظة للمتقين﴾(سورة البقرة : ٦٦) ففي تفسير " للمتقين" ذكر ابن جرير الطبري سبع روايات بأسانيدها، وهى كمايلى :

الأول : حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر بن عمارة قال، حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: (وموعظة للمتقين) ، يقول: للمؤمنين الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعتي.

الثاني : حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني ابن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة مولى ابن عباس، عن عبد الله بن عباس في قوله: (وموعظة للمتقين) ، إلى يوم القيامة.

الثالث : حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (وموعظة للمتقين) ، أي: بعدهم.

الرابع : حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة مثله.

الخامس : حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: أما"موعظة للمتقين"، فهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

السادس : حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: (وموعظة للمتقين)، قال: فكانت موعظة للمتقين خاصة.

السابع : حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسن قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج في قوله: (وموعظة للمتقين) ، أي لمن بعدهم.

وفي بعض الأحيان نجد أن ابن جرير يرد الرواية التي لايثق بصحتها، ويصرح برأيه بما يناسبها كما يقول : "وفي اسناده نظر"،(الطبري، ٢٠٠٠م: ١/٧٦) أو "وفي نقله نظر".(الطبري، ٢٠٠٠م: ١٨/١٠١)

عاشرا : الاهتمام بدراسة آيات الأحكام

اهتم ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان في تفسير القرآن المسائل الفقهية حيث ذكر فيه أقوال العلماء ومذاهبهم مع بيان الرأي الصواب عنده الذي رجحه بالأدلة القيمة والبراهين الساطعة، فمثلا

قوله تعالى : ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾(سورة النحل :٨) نجد الإمام الطبري بأنه ذكر أقوال العلماء والفضلاء في حكم أكل لحوم الخيل والبغال والحمير بالأسانيد، ثم قال : والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني، وذلك أنه لو كان في قوله تعالى ذكره (لتركبوها) دلالة على أنها لا تصلح، إذ كانت للركوب للأكل – لكان في قوله (فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للأكل

والدفء للركوب. وفي إجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره (ومنها تأكلون) جائز حلال غير حرام، دليل واضح على أن أكل ما قال (لتركبوها) جائز حلال غير حرام، إلا بما نص على تحريمه أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحي إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–. فأما بهذه الآية فلا يحرم أكل شيء. وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمر الأهلية بوحيه إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وعلى البغال بما قد بينا في كتابنا، كتاب الأطعمة بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، إذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك، وإنما ذكرنا ما ذكرنا ليدل على أنه لا وجه لقول من استدل بهذه الآية على تحريم لحم الفرس. (الطبري، ٢٠٠٠م: ١٧/١٧٢)

الحادي عشر : الجواب من السوال المقدر تحت عنوان "فإن قال لنا قائل"

إذا أمعنا النظر إلى تفسير الإمام ابن جرير الطبري يتضح لنا بأنه أجاب السوال المقدر تحت عنوان "فإن قال قائل".ففي جوابه استعمل لفظة "قيل". مثلا

قوله تعالى : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾(سورة الفاتحة :١). قال الطبري : فإن قال لنا قائل: وما وجه إدخال الألف واللام في الحمد؟ وهلا قيل: حمدا لله رب العالمين؟ قيل: إن لدخول الألف واللام في الحمد، معنى لا يؤديه قول القائل "حمدا"، بإسقاط الألف واللام. وذلك أن دخولهما في الحمد منبئ عن أن معناه : جميع المحامد والشكر الكامل لله. ولو أسقطتا منه لما دل إلا على أن حمد قائل ذلك لله، دون المحامد كلها. إذ كان معنى قول القائل: "حمدا لله" أو "حمد لله": أحمد الله حمدا، وليس التأويل في قول القائل: (الحمد لله رب العالمين)، تاليا سورة أم القرآن: أحمد الله، بل التأويل في ذلك ما وصفنا قبل، من أن جميع المحامد لله بألوهيته وإنعامه على خلقه بما أنعم به عليهم من النعم التي لا كفاء لها في الدين والدنيا، والعاجل والآجل. (الطبري، ٢٠٠٠م: ١/١٣٨)

وفي موضع آخر قال الطبري : فإن قال قائل : فإن ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ (سورة الفاتحة :١) فاصل بين ذلك. قيل: قد أنكر ذلك جماعة من أهل التأويل، وقالوا : إن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما هو: الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين ملك يوم الدين.

وفي قوله تعالى : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (سورة الفاتحة :٦) قال : وفقنا للثبات عليه. فإن قال قائل: وأنى وجدت الهداية في كلام العرب بمعنى التوفيق؟ قيل له: ذلك في كلامها أكثر وأظهر من أن يحصى عدد ما جاء عنهم في ذلك من الشواهد. فمن ذلك قول الشاعر:

لا تحرمني هداك الله مسألتي ... ولا أكونن كمن أودى به السفر

يعنى به: وفقك الله لقضاء حاجتي. ومنه قول الآخر:

ولا تعجلني هداك المليك ... فإن لكل مقام مقالا

فمعلوم أنه إنما أراد: وفقك الله لإصابة الحق في أمري.

الخاتمة :

قد اهتم علماء الإسلام وفقهاء الأنام بتفسير القرآن الكريم وشرح غريبه وكشف دقيقه منذ العصر الأول وحتى هذه العصور المتأخرة ومنهم من كان يختص بشرح لفظه ومنهم من يزيد على المعنى ومن أقدمهم محمد بن جرير الطبري الذي جمع ما نقله الأصحاب الكرام في تفسير الآيات العظام ورتبه على شكل المصحف الكريم واكتشف فيه لما حواه الكتاب المجيد من تشريع وتهذيب، وأحكام وأخلاق، وتربية وتوجيه، وهو يبقى فينا جيلا بجيل لتفسيره العزيز وهو لايزال بحرا لجيا، يحتاج إليه من يغوص في أعماقه، لاستخراج كنوز القرآن الثمينة، واستنباط روائع القرآن وأسراره. ومن نتائج البحث هى :

- اهتمام الإمام الطبري بالتفسير بالرواية.
- عنايته بآيات الأحكام وذكر الحكم فيها.
- اعتماده على أسلوب الترجيح أو التصحيح أو الجمع لكثير من الخلافات والوجوه التى يوردها.

فادعو الله –عز وجل– أن ينفعنا وإياه في الدارين كليهما، والله لا يضيع أجر المحسنين.

المصادر والمراجع :

- السيوطي، جلال الدين، *الإتقان في علوم القرآن*، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.
- الذهبى، الدكتور محمد حسين، *التفسير والمفسرون*، الناشر : دار الكتب الحديثة، د.ت.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، *الأعلام*، الناشر: دار العلم للملايين، 2002م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، بيروت : دار صادر، د.ت.
- الخالدي، الدكتور صلاح عبد الفتاح، *تعريف الدارسين بمناهج المفسرين*، دمشق : دار القلم، 2002م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، *معجم الأدباء*، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993م.
- الدكتور محمد الزحيلي، *الإمام الطبري شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين ومقدم الفقهاء المحدثين*، دمشق : دار القلم، 1999م.
- عمر بن رضا بن محمد راغب، *معجم المؤلفين*، بيروت : دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- البغدادي، أبو عبد الله محمد بن سعد، *الطبقات الكبرى*، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٨هـ.
- أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، *المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري*، القاهرة: دار ابن عفان، د.ت.
- الطبري، محمد بن جرير، *جامع البيان في تأويل القرآن*، تحقيق : أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة، 2000م.
- الطبري، الإمام أبي جعفر بمحم بن جرير، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، بيروت : دار أحياء التراث العربي، د،ت.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، *سنن الكبرى*، حيدر آباد : مجلس دائرة المعارف النظامية: 1344 هـ.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال، *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: سعيد المندوب، لبنان: دار الفكر، 1996م.
- الأستاذ مجيد طراد، *شرح ديوان جرير*، بيروت : 2003م.
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، *مسند أحمد بن حنبل*، بيروت : عالم الكتب : 1998م.